ثم دخلت سنة ست وست مئة

ففيها نزلتِ الكُرْج على مدينة خِلاط في خَلْقٍ عظيمٍ مع ملكهم إيواني، فضايقها، وبها الأوحد بن العادل، فأشرفَ على أخذِها، وقال له منجِّمه يوماً: ما تبيتُ الليلة إلا في قلعة خِلاط. فشَربَ الخمر حتى ثَمِلَ، وركب في جيوشه، وقصد باب أَرْجِيْش[1]، فخرج إليه المسلمون، فقاتلوه، ورأوا ما لا قَبِلَ لهم به، فبينا هُمْ كذلك عَثَرَ به حصانُهُ، فَقُتِلَ عليه جماعةٌ من خواصِّه، وأُخذ أسيراً، فَحُمِلَ إلى القلعة، فما باتَ إلا بها، ورَحَلَ الكُرْج عن البلد، وفَرَّجَ الله عن أهله. ثم اتَّفقَ مع الأوحد على أنه يَرُدُّ ما فَتَحَ من بلاد المسلمين، ويُطْلِقُ الأُسارى ومئة ألف دينار، ويزوِّج ابنتَه للأوحد.

وقيل: إنما كانت وقعة إيواني بعد حصار سِنْجار في سنة سبعٍ وست مئة.

وفي ربيع الأول نزل العادلُ على سِنْجار بعساكر مِصْر والشَّام وحَلَب وديار بكر، ومعه أولادُه الأوحد وغيرُه، وأقام يَضْرِبها بالمجانيق إلى رمضان، ولم يبق إلا تسليمُها، فأرسل الملك الظاهر من حلب أخاه المؤَيَّد يشفع في السَّناجرة ـ وصاحِبُها يومئذٍ قطبُ الدِّين محمدُ بنُ عماد الدِّين زَنْكي[2] بن مودود بن زنكي، وهم من بقية بيت زنكي[2] والد نور الدِّين محمود رحمه الله ـ فلم يُشَفِّعْهُ، ومات المؤَيَّد في هذه السفرة، وكره المشارقة مجاورةَ العادل، فاتفقوا عليه مع صاحب إربل، وأرسل الخليفةُ ابنَ الضحَّاك أستاذ دار وأقباش النَّاصري يَشْفَعُ إلى العادل فيهم، فرحل بعد أن أخذ نَصِيبين والخابور، ونزل بحَرَّان، وفرَّق العساكر، وصالح المشارقةَ: صاحبَ إربل، والمَوْصِل، والجزيرة، ومارِدِين، وحلب.

---

(١) مدينة قرب خلاط. «معجم البلدان»: ١/ ١٤٤.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ساقط من المطبوع.

وحج بالنَّاس من العراق ياقوت، ومن الشَّام فخر الدين إياس الشَّمَّامي.

وفيها توفي الملك المؤيَّد مسعود بن صلاح الدين[١] بمدينة رأس عين عند مُنْصَرَفِهِ من رسالة أخيه الظَّاهر إلى عمه العادل في أمر سِنْجار في النِّصْف من شعبان، وكان قد نام في بيتٍ مع ثلاثة، وعندهم منقل فيه نار، ولا منفذَ في البيت، فانعكسَ البخار، فأخذَ على أنفاسهم، فماتوا جميعاً، فَحُمِلَ المؤيَّد في مِحَفَّةٍ إلى حلب، فدفن بها.

وفيها توفي الملكُ المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل[٢] بدمشق، ودفن بسفح قاسيون بالتُّرْبة التي فيها أخوه المُعَظَّم[٣].

٦٨ **وفيها** توفي الفخر الرَّازي[٤] ابن خطيب الرَّي، صاحب الكلام والمنطق، واسمه محمدُ بنُ عمر بن حسين، وكنيته أبو المعالي.

---

(١) له ترجمة في كتاب الروضتين: ٢/ ٤٧٥ـ٤٧٦، مفرج الكروب: ٢/ ٤٢٤، ٣/ ١٩٨ـ١٩٩، تاريخ الإسلام (ت ٣٢٠، وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، الوافي بالوفيات: ٢٥/ ٥١٧ـ٥١٨، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، السلوك للمقريزي: ج١/ ق١/ ٢٠٥، شفاء القلوب: ٢٥١ـ٢٥٢، ترويح القلوب: ٧٣.

(٢) له ترجمة في مفرج الكروب: ٣/ ٢٧٣، شفاء القلوب: ٣٢٧، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٧٢، الدارس: ١/ ٥٨١، القلائد الجوهرية: ١/ ٢٢١، ترويح القلوب: ٥٠.

(٣) هي التربة المعظمية، انظر ص ١٧٣ من هذا الجزء.

(٤) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ٢٨٨، أخبار الحكماء للقفطي: ١٩٠ ـ ١٩٢، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ١٨٦ ـ ١٨٧، عيون الأنباء: ٤٦٢ ـ ٤٧٠، وفيات الأعيان: ٤/ ٢٤٨ ـ ٢٥٢، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١١٢، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٥٠٠ ـ ٥٠١، تاريخ الإسلام (ت ٣١١، وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، ميزان الاعتدال: ٣/ ٣٤٠، العبر للذهبي: ٥/ ١٨ ـ ١٩، الوافي بالوفيات: ٤/ ٢٤٨ ـ ٢٥٩، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٨١ ـ ٩٦، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، لسان الميزان: ٦/ ٣١٨ ـ ٣٢١، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٧ ـ ١٩٨، طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢١٣ ـ ٢١٧، شذرات الذهب: ٥/ ٢١ ـ ٢٢.

صنَّف التفسير، والمحصول، والمحصَّل، والأربعين، ونهاية العقول، وغيرها، واعتنى بكُتُبِ ابنِ سينا في المنطق، وشَرَحَها، وكان يعظ وينال من الكرَّامية، وينالون منه سَبّاً وتكفيراً. وقيل: إنهم وضعوا عليه من سقاه السُّمَّ، فمات، ففرحوا بموته، وكانوا يرمونه بالكبائر، وكانت وفاته في ذي الحِجَّة.

ولا كلام في فَضْله، وإنما الشَّناعات عليه قائمة بأشياء منها: أنه كان يقول: قال محمد التازي؛ يعني العربي، يريد النَّبيَّ ﷺ، وقال محمد الرَّازي يعني نفسه.

ومنها أنه كان يقرِّرُ في مسائل كثيرة مذاهب الخصوم وشُبَههم بأتمِّ عبارة، فإذا جاء إلى الأجوبة اقتنع بالإشارة.

وقد رأيتُ من أصحابه جماعةً قدموا علينا دمشق، وكلهم كان يُعَظِّمه تعظيماً كثيراً، ولا ينبغي أن يُسْمَعَ فيمن ثَبَتَتْ فضيلتُهُ كلامُ مُشَنِّعٍ لعلَّه صاحبُ غَرَضٍ من حَسَدٍ، أو مخالفةٍ في مذهبٍ أو عقيدة، رحمه الله تعالى.

وبلغني أنه خَلَّف من الذهب العين ثمانين ألف دينار خارجاً عما كان يملكه من الدوابِّ، والثِّياب، والعقار والآلات، وخلَّف ولدين أخذ كلُّ واحدٍ منهما أربعين ألف دينار، وكان ابنُه الأكبر قد تجنَّد في حياته، وخَدَمَ السُّلْطان محمد بن تُكُش.

وكان في زمانه القاضي الوحيد، كبيرَ القدر في الوعظ، يحضُرُ مجلِسَهُ الأكابر من الملوك، والأمراء، والرؤساء، وكان فخر الدين يتكلَّم فيه، فبلغه، فأتاه مُسَلِّماً، ووقفَ على رأسه، فرفع فخرُ الدِّين رأسه إليه، ولم ينهض له، وأنكر عليه مشافهةً ما كان[1] يقوله عليه في غيبته، فتبسَّمَ الوحيدُ، وقال: اطبخْ لك رزاً بلبن تأكله ينفع رأسك ومِزَاجك. ثم دعا بالقِدْر والنَّار، وجعل ينفخ

(١) في (ب): وشافهه بما كان يقوله.. وفي (ك) و(ع) و(س): مشافهة فما كان يقول، والمثبت من الأصل.

النَّار بنفسه ليطبخ ذلك بحضرة فخر الدين، ويتولَّى ذلك بنفسه على جلالة قدره، فقام فخرُ الدِّين، فوقع على رِجْليه، وبكى، وسمع سلطانُ البلد، فحضر، وأحضر الأطعمة، وآلات السماع، وجرى لهم يوم طَيِّب، وكان فخرُ الدِّين بعد ذلك يحضُرُ مجلسَ الوحيد، ويجلس قُبالةَ وجهه بين ذلك الجمع العظيم.

وفيها في سَلْخ ذي الحِجَّة توفي المجد بن الأثير الجَزَرِي الأصل[1]، المَوْصلي الدَّار، واسمه أبو السَّعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، كاتبٌ، مصنِّف، صَدْرٌ كبير.

ولد سنةِ أربعين وخمس مئة بجزيرة ابنِ عمر، وانتقل إلى المَوْصل، ونشأ بها، وقرأ الأدب والحديث وفنون العلم، وقَدِمَ بغداد حاجّاً، وسَمِعَ بها الحديث، وعاد إلى المَوْصِل، وكَتَب لأمرائها. وكان أمراء الموصل يحترمونه، ويعظِّمونه، ويستشيرونه، وكان بمنزلة الوزير النَّاصح إلا أنه كان منقطعاً إلى العلم وجَمْعِهِ؛ صنَّف كُتُباً حِساناً، منها: «جامع الأصول»، و«النهاية في غريب الحديث»، و«شرح مسند الشَّافعي» رحمه الله.

وكان به نِقْرس، فكان يُحْمَلُ في مِحَفَّة، وكان يسكن بدرب دراج بالمَوْصل، وبه دُفِنَ.

قرأ النَّحو على أبي محمد بن الدَّهَّان؛ ثُمَّ على أبي الحَرَم الضَّرير مكي بن

---

(١) له ترجمة في معجم الأدباء: ١٧/ ٧١ ـ ٧٢، الكامل: ١٢/ ٢٨٨، إنباه الرواة: ٣/ ٢٥٧ ـ ٢٦٠، مرآة الزمان (وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٢/ ١٩١ ـ ١٩٢، وفيات الأعيان: ٤/ ١٤١ ـ ١٤٣، المختصر في أخبار البشر: ٣/ ١١٢ ـ ١١٣، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٨٨ ـ ٤٩١، تاريخ الإسلام (ت ٣١٤، وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، العبر للذهبي: ٥/ ١٩، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ١٧٥ ـ ١٧٦، الوافي بالوفيات: ٢٥/ ٨٤ ـ ٨٨، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، طبقات ابن قاضي شهبة: ٢/ ٦٠، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٨ ـ ١٩٩، بغية الوعاة: ٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥، شذرات الذهب: ٥/ ٢ ـ ٢٣، وفي بعض المصادر ولادته سنة (٥٤٤ هـ).

رَيَّان، وسمع الحديث من أبي بكر بن سَعْدون القرطبي، وأبي الفَضْل عبد الله بن الطُّوسي، وسمع ببغداد أبا الفرج بن كُلَيْب، وغيره.

روى الحديثَ، وانتفع به النَّاس، وكان عاقلاً بهيّاً، ذا برٍّ وإحسان، وكان له أَخَوان فاضلان: ضياءُ الدين ابن الأثير الكاتب الذي كان وزيرَ الأفضل بن صلاح الدين؛ صاحب كتاب «المَثَل السَّائر» وغيره، وعِزُّ الدين عليُّ بنُ الأثير ٦٩
صاحب «التاريخ» وغيره. قَدِمَ علينا دمشق[1]، وأسمع بها بالجامع، ودار الحديث النُّورية، رحمهم الله.

وفيها في ذي الحِجَّة أيضاً توفي ببغداد، أبو علي، يحيى بن الرَّبيع بن سليمان الواسطي[2]، مدرِّس النِّظامية، ولقبه مجد الدين.

ولد بواسط سنة ثمانٍ وعشرين وخمس مئة، وقرأ القرآن على جَدِّه سليمان، وتفقَّه على أبيه، ورحل إلى نيسابور صحبة أبي القاسم بن فَضْلان، وعاد إلى بغداد، وتولَّى تدريس النِّظامية، وكان عارفاً بالتفسير، والمذهب، والأُصولين، والخِلاف، وصنَّفَ تفسيراً في أربع مجلَّدات، وبعثه الخليفةُ في رسالة إلى خُرَاسان.

سَمِعَ أبا الوقت وطبقَتَه، وكان ثِقَةً، ديناً، صَدُوقاً، ودُفِنَ إلى جانب ابن فَضْلان، رحمه الله تعالى.

---

(١) قدم ابن الأثير دمشق في سنة (٥٩٠هـ) وسنة (٦٢٧هـ)، انظر «الكامل»: ١٢/ ١٠٩، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ٣٤٩ .

(٢) له ترجمة في الكامل: ١٢/ ١٧٨، ٢٨٨، التكملة للمنذري: ٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠، تاريخ الإسلام (ت ٣٢٦، وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧، معرفة القراء الكبار: ٣/ ١١٦٢، العبر للذهبي: ٥/ ٢٠، المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٢٤٠ ـ ٢٤١، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٣٩٣ ـ ٣٩٥، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩، البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠٦ هـ)، غاية النهاية: ٢/ ٣٧٠، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٩، طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٦٤ ـ ٣٦٦، شذرات الذهب: ٥/ ٢٣ ـ ٢٤.

وفيها توفي الحسن[١] بن أحمد[٢] بن حِكّينا[٣]، من أهل الحريم الظَّاهري، كان فاضلاً، ومن شِعْره:

قد بانَ لي عُذْرُ الكرامِ فَصَدُّهُمْ عن أكثر الشُّعراءِ ليس بعارِ
لم يسأموا بَذْلَ النَّوالِ وإنَّما جَمَدَ النَّدى لبرودَةِ الأَشْعارِ

وفيها توفي شمس الدين بن البَعْلَبكي، والد المجد، وكان قاضي الفتيان بدمشق في العشرين من صفر، وهو الذي بُعِثَ إلى مصر ليشدَّ الكامل فتوةً للخليفة لمَّا جاءَ مِنْ بغداد الأمرُ بذلك.

وفيها توفي شمس الدين سلام بن سلام، والد إسماعيل وإسحاق الشَّاهد بدمشق حادي عشر ربيع الآخر.

ثم دخلتْ سنةُ سبعٍ وستِّ مئة

فوصل الحجاج إلى دمشق صُحْبة ابنِ محارب ثاني صَفَر.

---

(١) وهم أبو شامة في ذكره في وفيات هذه السنة (٦٠٦ هـ)، متابعاً في ذلك سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»، وكان السبط قد اضطرب في تاريخ وفاته، فقد ذكره كذلك في وفيات سنة (٥٠٥ هـ)، والصواب أنه توفي سنة (٥٢٨ هـ)، فيما ذكر أكثر من ترجم له، وتردد العماد في «شذرات الذهب»: ٤/ ٨٨ بين سنة (٥٢٨ هـ)، و(٥٢٩ هـ).

(٢) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ١/ ٢٣٠ ـ ٢٤٨، المختصر المحتاج إليه: ١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٢٠٨ ـ ٢١٠، الوافي بالوفيات: ١١/ ٣٨٧ ـ ٣٩١، فوات الوفيات: ١/ ٣١٩ ـ ٣٢١، شذرات الذهب: ٦/ ١٩٧، ووهم ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة: ٦/ ١٩٧ فترجم له في وفيات سنة (٦٠٦ هـ)، متابعاً كذلك سبط ابن الجوزي.

(٣) اختلفت مصادر ترجمته في رسم اسمه بين جكينا ـ بالجيم أو بالحاء المهملة ـ فقد قيده ابن خلكان بالجيم فيما ذكره د. إحسان عباس في تعليقه على «وفيات الأعيان»: ٧/ ٢٢٤، وقيده الزبيدي في مستدركاته في «تاج العروس» (حكن) ـ بالحاء المهملة، وقال: حكينا: بكسرتين مشددة الكاف، لقب، وابن حكّينا شاعر معروف. وإلى هذا الرسم مال العلامة محمد بهجة الأثري في تعليقه على «الخريدة».